

الطفيليات

ونشأة المدينة وانتشارها^(١)

توطن الانسان في اول عصر التاريخ في الأماكن القريبة من مجاري الأنهار في المناطق المعتدلة حيث تكثر موارد الأرض الطبيعية من نبات وحيوان . ولكن هذه المناطق كانت ملائمة لنمو الطفيليات التي تسبب امراضاً . وازداد انتشار الطفيليات واشتدت وطأتها وفقاً لازدهار السكان . وكان أهم هذه الامراض كما يستدل من التاريخ مرض الملاريا وفقر الدم الناشئ عن الانكستوما ، فأفضى ذلك إلى اضمحلال هذه المدن الأولى ، وتغلب على شعوبها ، ضرائب من البدو أو سكان الجبال ، أقل منها مدينة . فالبداو الرجل تقل جداً عدوى الطفيليات بينهم لكثرة تنقلهم وقلّة اذعانهم وسكناتهم مناطق جافة . وكذلك الحال في سكان الجبال فالبرد الجوف وفقاً للإرتفاع عن سطح البحر يجعل انتشار الطفيليات في تلك الأماكن متعديراً . ولكن هؤلاء الغزاة لا يلبثون بعد استيطانهم المناطق المنزوعة حتى يصيبهم ما أصاب الأهالي الاصليين فيخضعون بدورهم لغزاة آخرين

ويقرر بعض المؤرخين أن السبب في سقوط بعض الدول وتغلب غيرها عليها يرجع إلى عوامل الترف وانحطاط الآداب بين الشعوب الغربية ، نتيجة لازدياد الثروة والامراف والنصراف الناس إلى الملاهي . وإذا كان ذلك يصح على حال الملوك والامراء ومن يليهم من الطبقة الخاصة ، فإننا لا نرض أن المؤرخين يؤمنون بأن طامة الشعب المصري أيام قدماء المصريين أو الشعب اليوناني أو الروماني ، كانت تنعم بقليل مما تنعم به الشعوب الغربية في العصر الحديث من أسباب الترف والملاهي وحسن العيش . وقد برهنت الحرب أن الشعوب الغربية محتنة بكامل قوتها البدنية والعنوية ولم يستلها حسن العيش نادياً . ولعلنا نغزوهم المؤرخون من تغلب المدنية المصرية القديمة على جميع الماتحين وتطبع هؤلاء الماتحين بالطباع المصرية قد يكون مرجعه إلى اصابتهم بالطفيليات المنتشرة في البيئة الجديدة . فنحلبهم إلى ما كان عليه . منظم الشعب . ومعلوم أن الملغوب مولع بتقليد الغالب فإذا حدث عكس ذلك ، فلا بد من عوامل

(١) الخفة من محمود الدكتور محمد خليل عبدالحق بك . استاذ علم الطفيليات بكلية الطب - جامعة الأزهر

قوية تفسر النساب على النطبع بطباع البلاد المفتوحة ، ومحتمل كثيراً ان تكون اصابة الفاتحين بالامراض المتوطنة في خليعة هذه العوامل

وقد امتدت المدينيات الأولى الى الاقاليم الباردة عندما تمكن الانسان من السيطرة على الموارد الطبيعية واستيراد ما يحتاج اليه فيها من الاراضي النائية ، وتمكنت له الخبة عندما انتشرت المصانع والمخترعات . وهذه المناطق تحفر نسيان عدوى الطفيليات لبردها معظم ايام السنة ، فاطردت مدينتها ارتفاعاً ولم تظهر فيها عوامل الانحلال من هذه الناحية . واذا نظرنا الى مواقع بلدان اوروبا متدرجين من الجنوب الى الشمال ، وجدنا تقدم المدينة مطرداً وفقاً للاتجاه من الجنوب الى الشمال . وهذا يظايق كل المطابقة قلة انتشار الامراض الطفيلية . فهي اكثر انتشاراً في الجنوب منها في الشمال

واذا اتجهنا جنوباً مبتدئين من مهد المدينيات الأولى وجدنا الامراض الطفيلية تزداد انتشاراً مما يحمل حياة الانسان في هذه البيئات مستحيلة أو في نطاق التسجيل تقريباً . وربما كان هذا هو السبب في ان مدينيات المناطق المعتدلة لم تتمكن من الانتشار جنوباً كما انتشرت شمالاً . فكان اجتياز المنطقة الاستوائية حيث تكثر الامراض الطفيلية كان متطرداً عليها . وظلّت هذه المنطقة توصف الى عهد قريب بقولهم انها « مقبرة الرجل الأبيض » . ولكن في العهد الحديث أمكن القول بصفة قاطمة ان الاقامة في هذه الاقاليم ممكنة اذا نقلنا على ما فيها من أمراض طفيلية . وقد نشأ هذا القول عن كشف هذه الأمراض وأسبابها وطرق معالجتها . وكان الاكتشاف الأول هو اكتشاف البول الدموي في مصر وديدقان البهارسيا نسبة له وكان ذلك في سنة ١٨٥١ ومرض الانكاستوما الذي يسبب فقر الدم المنتشر في جميع البلدان الحارة وكان ذلك في سنة ١٨٥٣ بمدرسة الطب المصرية كذلك . وكشف طفيلي الملاريا سنة ١٨٨٢ في مدينة الجزائر والديسنتاريا الاميبية في سنة ١٨٨٣ بالاسكندرية ومرض النوم سنة ١٩٠٣ ومرض الكالازار في سنة ١٩٠٣ كذلك . وقد أعقب ذلك كشف تاريخ حياة الأمراض وطرق انتشارها ثم كشفت أدوية ناجمة لمعالجة معظمها بالطرطير والزرنيخ مرض النوم (١٩٠٦) والسنتريمان للزهري (١٩٠٦) والامبتين للديسنتاريا (١٩٠٩) والطرطير لعلاج البهارسيا في سنة ١٩١٨ ورائع كلورور الكربون للانكاستوما في سنة ١٩٢٣

وبعد ما تمكن العلم الحديث من ان يكشف بعض الكشف عن علاج تلك الامراض الطفيلية ومقاومتها انتشر استيطان الاوربيين في المناطق الاستوائية محتضين بصحتها فيها بفضل الاحتياطات الصحية الموجهة في انعام الاول الى الامراض الطفيلية الحيوانية